وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال الزُّهْرِيّ: «لولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يَرُدّ الصداق، وكذلك كان يَصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد، فلما نزلت هذه الآية أَقرّ المؤمنون بحُكم الله عزّ وجلّ، وأدّوا ما أُمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يُقِرّوا بحُكم الله فيما أُمروا من أداء نفقات المسلمين على نسائهم». فدلّت هذه الآيات على أنّ المسلمين هم الذين يُجيبون داعي الله ويتحاكمون إلى شرع الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، والكافرون والمنافقون هُم الذين يصدّون عن دين الله ويتحاكمون إلى الطّواغيت كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾.

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، قال محمد بن جعفر بن الزبير بن العوّام: «أي: هكذا كان قولهم وإيمانهم»، وروي عن مجاهد في قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، قال: «من يتّبعني إلى الله؟». فالمسلمون هُم المؤمنون بما أَنزل الله المتّبعون لشرع الله، فوَصْفُهُم في الآية هو الإيمان والاتّباع لما أنزل الله، ولا يكونوا مسلمين إلا بالقول والعمل جميعًا، والعمل هنا هو الاتّباع والانقياد كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا

عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، عن أبي العالية: «﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، قال: بالتوحيد، ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، قال: عن الشرك»، وعنه أيضًا قال: «كلّ ما ذكره الله في القرآن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأمر بالمعروف: دعاء من الشرك إلى الإسلام، والنهي عن المنكر: النهي عن عبادة الأوثان والشياطين»، وعن مجاهد في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط: أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله، يقول: لمن بين ظهريه، كقوله: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾».

وبمجموع هذه الأدلة نصِل إلى ضبط صفة المسلمين: هُم الذين لا يعبدون إلا الله ولا يشركون به شيئًا ولا يتّخذون الأرباب في الحُكم والتشريع، ويتّبعون رُسل الله وما أنزل الله وشِرعَة الله، ويأمرون بالمعروف وعلى رأسه التوحيد، وينهون عن المنكر وعلى رأسه الشرك والكفر، ويؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه كما أمَرَ الله... والأقوام اليوم لم يحقّقوا هذه الأوصاف، فهل لهم اسم الإسلام وهل يكونوا بذلك مسلمين؟! ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

مطوية

راجع دينك

شعبان ١٤٤٥ هـ

www.seiraj.com

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد: قد يتردد الكثير حين تدعوه إلى الإسلام في قضية البراءة من هذه الأقوام، فيَستشنع التكفير بالعموم؛ حيث تَرَسّخ في نفسه أنّ هذا منهج الخوارج المارقين، فيَهاب هذا الحُكم الربّاني ويحاول دفعه بشدة والفرار من تبعاته بقوة، ولو أعطى نفسه مهلة ففكّر وقدّر قليلًا لوجد أنه يكفِّر بالعموم ويُؤسلِم بالعموم، لكنه يرفض أن يكفِّر أقوامًا ويوافِق على تكفير آخرين، مع أنّ المناطات الموجودة هنا موجودة هناك ولكن أكثر الناس لا يَعلمون.

لقد أضاع الناس البوصلة الصحيحة، وتقلّبت عندهم الأمور، حتى صاروا لا يفرّقون بين المسلم والكافر، فوقعت الفتنة في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، قال محمد بن إسحاق: «جَعَل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم، وجَعَل الكفار بعضهم أولياء بعض، ثم قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، أي: إلا يُوالِ المؤمن المؤمن من دون الكافر وإن كان ذا رَحِمٍ به، ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، أي: شبهة في الحق والباطل، وظهور الفساد في الأرض، بتَوَلّي المؤمن الكافر دون المؤمن».

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، قال أبو العالية: «كلمة السواء: لا إله إلا الله»، وهذه الآية من كتاب الله أوضَحَت حدّ المسلمين ونَصّت على شرطهم في عدم اتّخاذ الأرباب في الحاكمية والتشريع، وفي

هذا النصّ دعوة لأهل الكتاب إلى الإسلام، فأمَر الله نبيّه أن يدعوهم إلى الكلمة السواء وهي لا إله إلا الله، وذكر مدلولها الذي لا يصح به إسلامهم إلا إذا حقّقوه، وقال عكرمة مولى ابن عباس: «﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، أي: فإن تَوَلَّوْا عن هذا النَّصَف وهذه الدعوة فأشهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرَعه الله لكم»، فجاء في الآية تفسير للكلمة السواء، أي البراءة من الشرك وإفراد الله بالعبودية وعدم اتّخاذ الأرباب في الحاكمية والتشريع، ونصَّ الله على عدم اتّخاذ الأرباب في الحُكم والتشريع وإن كان داخلًا في ما قبله، والتَّنصيص جاء للتأكيد عليه؛ وذلك لاتّخاذ أهل الكتاب الأحبار والرهبان كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، قال البخاري: «باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنّبوة، وأن لا يتّخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله»، وفي هذه الآية أنّ اتّخاذ الأرباب كُفر يَرفع اسم الإسلام من القَوْم، فالمسلمون لا يتّخذون الأرباب في الحُكم والعبادة والطاعة والاتّباع، خلافًا لأقوامنا.

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾، قال البغوي: «﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾، أي: أعرَضوا عن الإيمان والحُكم بالقرآن، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾، أي: فاعلم أنّ إعراضهم من أجل أنّ الله يريد أن يعجّل لهم العقوبة في الدنيا ببعض

ذنوبهم»، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، قال السمعاني: «﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي: تَعمَلوا بالكُل»، وقال البغوي: «أي: تقيموا أحكامهما وما يجب عليكم فيهما». وإن كان هذا الوصف: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ خطاب لأهل الكتاب، فهو يعمّ هذه الأمّة؛ فكلّ أمّة أُنزل إليها كتاب الله فلم يَعمَلوا به، فليسوا على شيء من الدين حتى يقيموا ما أُنزل إليهم من ربهم، وإلا: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، إذًا فَصِفَة القَوْم المسلمين إقامة شريعة ربهم والحُكم بما أُنزل إليهم منه وعدم اتّخاذ الأرباب، وصِفَة القوم الكافرين عدم إقامة ما أُنزل إليهم من ربهم وتلقّي الشريعة من الأرباب والدين من الأنداد.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، قال الطبري: «﴿وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، يقول: وليس قائلو هذه المقالة، يعني قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ بالمؤمنين؛ لتركهم الاحتكام إلى رسول الله ﷺ وإعراضهم عنه إذا دعوا إليه»، ولا شكّ أنّ هؤلاء الأقوام دُعوا إلى الحُكم بالقرآن، ولكنهم أعرَضوا بل قاتَلوا من دعاهم إلى ذلك وساموهم سوء العذاب. ومِثله قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، قال الطبري: «يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿فَلَا﴾، فليس الأمر كما يزعمون أنهم يؤمنون بما أُنزل إليك، وهُم يتحاكمون إلى الطاغوت ويصدّون عنك إذا دُعوا إليك يا محمد».